الصعود (العسكري) للميليشيات والتنظيمات المسلَّحة: التفسيرات والتبعات

عمر عاشور

تسعى وثيقة خلاصة السياسات التي بين أيدينا إلى فهم نقاط القوة التي تتميَّز بها الجهات الفاعلة المسلَّحة غير الحكومية، وشرح سبب الصعوبات التي تلاقيها الدول التي تمتلك قوَّةً أكبر في إلحاق الهزيمة بها على المستوى التكتيكي والعملياتي والاستراتيجي. تنقسم الوثيقة إلى أربعة أقسام: الأول يبيِّن التغير التاريخي في نتائج المعركة/الصراع التي تضمُّ دولًا (ممثلةً في الحكومات أو الأنظمة الحاكمة) والجهات الفاعلة غير الحكومية (ممثلةً في المتمردين أو الثوَّار). أما القسم الثاني، فيقدِّم نظرةً عامَّة على الشروح الأساسية المقدَّمة في المؤلفات العلمية من دراساتٍ أمنية واستراتيجية تشرح ذاك التغير التاريخي في النتائج. والقسم الثالث يلقي نظرةً عامَّة على الاستراتيجية (أو الاستراتيجيات) التي اتبعتها دولٌ معيَّنة في التعامل مع الصعود العسكري لجهاتٍ فاعلة مسلَّحة غير الحكومية. وأخيرًا، يقدِّم القسم الرابع ملاحظاتٍ واستنتاجات.

صعود الطرف (الأطراف) الأضعف

منذ الربع الأخير من القرن العشرين ونحن نشهد صعودًا مضطردًا في إمكانيات المتمرِّدين المسلَّحين. إذ أظهر ماك (1975)، وأريغوين توفت (2001)، وليال وويلسون (2009)، و كونابل وليبيكي (2010)، وجونز وجونستون (2013)، وشوت (2014) وآخرون غيرهم زيادةً بارزةً في نسبة الانتصارات التي يحرزها المتمردون المسلحون على حساب السلطات الحاكمة التي تفوقهم قوةً، وعجز السلطات الحاكمة عن إلحاق الهزيمة بالمتمردين المسلحين الأضعف منهم. ويُعَدُّ هذا تغيُّرًا في الأنماط التاريخية. إذ أظهر ليال وويلسون (2009) باستخدام مجموعة بيانات ضمت 286 حالة تمرُّد بين عامي 1800 و2005 أنَّ الدول أحرزت انتصاراتٍ في 25% فقط من هذه الحالات بين عامي 1976 و2005، مقارنةً بنسبة 90% بين عامي 1826 و1850. وانتهى كونابل وليبيكي (2008) إلى نتيجة مشابهة في أثناء دراسة 89 حالة تمرُّد. في 28 حالة (31%) انتصرت القوات التابعة للدول، وفي 26 حالة (29%) كان الانتصار من نصيب قوات المتمردين. وكانت النتيجة غير واضحة في 19 حالة (21%) (كونابل وليبيكي 2008، 5).[1] وانتهى علماء آخرون إلى نتائج مشابهة، وكانت النتائج إجمالًا متوافقةً، بغضِّ النظر عن مجموعة البيانات والإطار الزمني المختار. وبهذا يبدو أنَّ الجهات الفاعلة المسلَّحة غير الحكومية تعمل منذ مدَّة على تغيير نمطٍ تاريخيٍّ: ألا وهو احتكار الدول لوسائل العنف، ما يمنحها قدرةً أكبر على إلحاق الهزيمة بالجهات الفاعلة غير الحكومية في ساحة المعركة. ويسري هذا التوجُّه على جميع أنواع الجهات الفاعلة غير الحكومية، بدءًا من متمرِّدي القوات المسلَّحة الثورية الكولومبية "فارك" في كولومبيا، ووصولًا إلى حركة طالبان في أفغانستان وغيرهما.

التفسيرات المتعارضة والمتكاملة

تُقدِّم مؤلفات الدراسات الأمنية والعسكرية والاستراتيجية نطاقًا واسعًا من التفسيرات لأسباب تمكُّن المتمردين الأضعف من إلحاق الهزيمة بقوَّة الدول التي تفوق قوتهم، أو الصمود في وجهها. وتركِّز تلك التفسيرات في المقام الأول على عوامل الجغرافيا والسكان والدعم الخارجي والتكتيكات العسكرية والاستراتيجية العسكرية. وقد سلَّط ماو ([1938] 1967) الضوء على مركزية ولاء السكان في إنجاح التمرُّد، وذكر أنَّ التمرُّد "لا بدَّ أن يتحرَّك وسط الناس كما يسبح السمك في البحر". وينتهي الدليل الميداني لمكافحة التمرُّد الخاص بقوات مشاة البحرية في الجيش الأميركي إلى أنَّ حالات التمرُّد تمثِّل "منافسةً

تسعى وثيقة خلاصة السياسات التي بين أيدينا إلى فهم نقاط القوة التي تتميَّز بها الجهات الفاعلة المسلَّحة غير الحكومية، وشرح سبب الصعوبات التي تلاقيها الدول التي تمتلك قوَّةً أكبر في إلحاق الهزيمة بها على المستوى التكتيكي والعملياتي والاستراتيجي

على ولاء" العامَّة، الذين يكونون في أغلب الأحوال غير منحازين لطرفٍ دون آخر، والذين يمكن أن يصطفوا مع الوضع القائم أو مع تغيير الوضع القائم، ويتطلَّب النجاح في هذا المنافسة إقناع هؤلاء العامة غير المنحازين بالاصطفاف مع الوضع الراهن من خلال "الفوز بقلوبهم وعقولهم" (بيترايوس وزملاؤه 2007، 136-79). وتُظهر دراسات تومسون (1966)، وماسون وكرين (1989)، ووود (2003)، وكالفايس (2006)، وكالفايس وكوشر (2007)، وبرايث وايت وجونسون (2012)، وكوندرا وشابيرو (2012)، أنَّ قسوة تعامل الحكومة مع السكان المحليين تؤثر في ولائهم، وبالتالي تساعد المتمرِّدين فيما يخصُّ تجنيد عناصر في صفوفهم والحصول على موارد واكتساب شرعية. ويشير القائد السابق للقوات الأميركية في أفغانستان الجنرال ستانلي مكريستال إلى هذا التأثير بـ"رياضيات المتمرِّدين": بمعنى أنَّه أمام كلِّ فردٍ بريء من السكان المحليين تقتله الحكومة، يُخلق عشرة متمردين جُدد (دايفوس 2013). وسبق أن صكَّ كيلكولين (2009) مصطلح "المتمردون بالصدفة"؛ في إشارة إلى تبعات القمع العشوائي الذي يؤدي إلى انجذاب عناصر من السكان المحليين إلى محاربة الدولة دون سابق عداء بينها وبينهم. وثمة حُجج أخرى بديلة، تُظهر أنَّ استخدام الدولة للعنف ضد المدنيين يمكن أن يساعد الحكومة في دَحْر المتمردين من خلال تحييد السكان المحليين.

واستعرضت المؤلفات أيضًا تفسيراتٍ تتمركز حول الجغرافيا. إذ شدَّد فيرون ولايتين (2003) على أنَّ التضاريس الوعرة واحدة من بين أربعة متغيرات حرجة تدعم التمرُّد.[2] واحتجَّ ماو بأنَّ حرب العصابات تكون ممكنةً أكثر ما تكون في الدول الكبرى، حيثُ تميل القوات التابعة للدولة إلى بَسْطِ خطوط الإمداد الخاصة بها على مسافاتٍ طويلة للغاية. وشرح ماكولاي (1978) وجيفارا (1961) كيف أنَّ عددًا ضئيلًا من الثوَّار المسلحين في كوبا تمكَّنوا من التحايل على التضاريس للتفوُّق على قواتٍ مسلَّحة تفوقهم كثيرًا في القوة، والتحرُّك تدريجيًّا من المحافظة الواقعة أقصى الشرق في الجزيرة إلى العاصمة في الغرب. أمَّا غالولا (1964) فكان أكثر تحديدًا وقطعًا فيما يتعلَّق بالتفسيرات الجغرافية. ويؤكِّد في عمله المؤثِّر "Counterinsurgency Warfare" أنَّ: "الدور الذي تلعبه الجغرافيا ... يمكن أن يكون بالغ الأهمية في حروب التمرُّد. فإذا لم تكن الجغرافيا مساعدةً للمتمرِّد في بدايته التي تتَّسم بالضعف، يصبح فشله محتومًا تقريبًا قبل أن يبدأ" (غالولا 1964، 26). وأدخل بولدينغ (1962) مفهوم "معدل فقدان القوة" إلى التفسيرات الجغرافية. وهو يعني باختصار أنَّه كلما كانت المعركة بعيدةً عن المركز، زادت احتمالية فقدان القوات التابعة للدولة لقوتها. ويبني شوت (2014) على هذا المفهوم ويعدِّل فيه ليحاجج أنَّ الدقة - وليست القوة بالضرورة - هي ما تفقده القوات التابعة للدولة مع عامل المسافة. وأدخل بدوره عامل "معدل فقدان الدقة": بمعنى أنَّ الهجمات طويلة المدى للقوات التابعة للدولة تكون أكثر عشوائيةً وأقلَّ دقَّةً (في قتل المتمردين) من الهجمات قصيرة المدى. وبالتالي، يصبح تحييد المدنيين عاملًا متعلِّقًا بالمسافة، نتيجةً لعدم الدقَّة وعمليات القتل العشوائية (شوت 2014، 8).[3]

وأكَّد علماء آخرون على أهمية الدعم الأجنبي. ففي دراسةٍ أجراها كونابل وليبيكي (2010) على 89 حالة تمرُّد، حاجج الباحثان أنَّ حالات التمرُّد التي "حظيت" برعايةٍ من دولةٍ ما نجحت بنسبة 2: 1 من الحالات المبتوت في شأنها (أي التي أحرز فيها جانبٌ نصرًا محقَّقًا على الجانب الآخر)". وبمجرد توقف المساعدة الأجنبية، هوت نسبة نجاح المتمردين لتصبح 1 :4 (كونابل وليبيكي 2010، 9-8). ولا ينطبق هذا إلا على الانتصارات التي لا لَبْسَ فيها؛ إذ لا ينطبق على الحالات غير الواضحة أو حالات التمرُّد المستمرة.

وأخيرًا، فسَّر العلماء انتصار المتمردين على أساس التكتيكات العسكرية أو الاستراتيجية العسكرية أو كليهما. وفيما يتعلَّق بالتكتيكات، يحاجج ليال وويلسون (2009) بأنَّ آليات الحرب الحديثة قوَّضت قدرة القوات التابعة للدول على كَسْبِ ودِّ السكان المدنيين، وتشكيل روابط مع السكان المحليين وجمع معلوماتٍ بشريَّة قيِّمة. ويحاجج جونز وجونستون (2012)، وكيلكولين (2014)، وسييغ (2014) بأنَّ قدرة المتمردين على الوصول إلى تقنياتٍ جديدة في مجال الأسلحة والتواصل والمعلومات الاستخباراتية والنقل

أنَّ حالات التمرُّد التي «حظيت» برعايةٍ من دولةٍ ما نجحت بنسبة ٢:١ من الحالات المبتوت في شأنها (أي التي أحرز فيها جانبٌ نصرًا محقَّقًا على الجانب الآخر)». وبمجرد توقف المساعدة الأجنبية، هوت نسبة نجاح المتمردين لتصبح ١:٤

والمواصلات والبنية التحتية والقدرات التنظيمية/الإدارية، قد سمحت لهم بتعزيز تكتيكاتهم العسكرية لتصل إلى مستوياتٍ كانت تاريخيًّا حكرًا على الفاعلين المسلَّحين التابعين للدول. ويوازن هذا إلى حدٍّ كبير احتمالية إلحاق الهزيمة بالمتمردين على يد القوات التابعة للدول. ومن الناحية الاستراتيجية، يُقدِّم أريغوين-توفت (2001) نموذجًا معقَّدًا للتفاعلات الاستراتيجية بين الفاعلين الأضعف من الناحية العسكرية وخصومهم الذين يفوقونهم قوَّةً. وتنتهي دراسته إلى أنَّ القوات الأضعف يمكن أن تتجاوز قلَّةَ الموارد من خلال توظيف استراتيجيات متعارضة ضد الفاعلين المسلحين الأكثر قوةً (الاستراتيجيات المباشرة مقابل الاستراتيجيات غير المباشرة). وتُعَدُّ استراتيجية حرب العصابات (استراتيجية غير مباشرة) هي الأفضل عند مواجهة استراتيجيات الهجوم المباشر من جانب فاعلين أكثر قوةً، بما في ذلك "الحروب الخاطفة" (أريغوين-توفت 2001، 100، 122).[4]

تنطبق العديد من عناصر تلك التفسيرات بشكلٍ جيد على المنظمات التي تعمل في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، بما في ذلك تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وهيئة تحرير الشام، وتنظيم القاعدة في جزيرة العرب، وحزب العمال الكردستاني، وجماعة أنصار الله (الحوثيون)، وغيرهم كُثر. لكن، مما لا شكَّ فيه أنَّ البيئة السياسية في دول الشرق الأوسط ذات الأغلبية العربية لها تفاصيلُها الخاصَّة. وقد ثبت أنَّ توليفة السلاح والدين/الطائفة أو السلاح والوطنية الشوفينية في معظم أرجاء العالم العربي هي الوسيلةُ الأكثر نجاعةً للوصول إلى السلطة والبقاء فيها. أما أصوات الناخبين والدساتير والحكم الرشيد والإنجازات الاجتماعية والاقتصادية فهي سُبل ثانوية، بل إنَّ العديد من الدول ذات الأغلبية العربية تُنزلها منزلة القشور أو الأمور الشكلية. ويمكن بلا ريبٍ للفاعلين المسلَّحين غير الحكوميين أن يتعايشوا ويتوسَّعوا في سياقٍ إقليميٍّ يثبت فيه الرصاصُ دائمًا أنَّه أكثر نجاعةً من صناديق الاقتراع، وحيث يُرتكب العنف السياسي بأقصى صوره على يد الفاعلين من الدول وغير الدول، ثم تُضفي عليه المؤسسات الدينية شرعيةً، وحيث يُنظر إلى اجتثاث "الآخر" على أنَّه استراتيجية سياسية ذات مشروعية أكثر من التسويات والمصالحات. وليس المقصود هنا، بأيِّ حالٍ من الأحوال، أن نشير إلى أنَّ المنطقة عنيفةٌ بطبيعتها. بل المقصود أن نعرض أنَّ الطبقات السياسية والاجتماعية الحاكمة والمهيمنة في العالم العربي - باستثناءاتٍ بسيطة - تختار دائمًا ممارسة السياسة بطرقٍ عنيفة تتراوح بين التعذيب النظامي للأفراد إلى سياسات الإبادة الجماعية.

ويمكن بلا ريبٍ للفاعلين المسلَّحين غير الحكوميين أن يتعايشوا ويتوسَّعوا في سياقٍ إقليميٍّ يثبت فيه الرصاصُ دائمًا أنَّه أكثر نجاعةً من صناديق الاقتراع، وحيث يُرتكب العنف السياسي بأقصى صوره على يد الفاعلين من الدول وغير الدول، ثم تُضفي عليه المؤسسات الدينية شرعيةً، وحيث يُنظر إلى اجتثاث «الآخر» على أنَّه استراتيجية سياسية ذات مشروعية أكثر من التسويات والمصالحات

نظرة عامة على الاستراتيجية (الاستراتيجيات) المضادة

وضعت الولايات المتحدة وحلفاؤها استراتيجيةً للمواجهة الأوليَّة للجهات الفاعلة المسلَّحة غير الحكومية التي تهدِّد أمنها القومي والاستراتيجي. والتحقت دولٌ أخرى من بينها روسيا وإيران بالركب مع إدخال التعديلات الاستراتيجية الخاصة بها. ونُلخِّص أدناه نظرةً عامَّة لبعض ركائز تلك الاستراتيجيات.

وظَّفت الولايات المتحدة وحلفاؤها الغاراتِ الجوية، بما في ذلك المركبات القتالية المُسيَّرة من دون طيَّار (UCAVs)، التي تُعرف بـ"الطائرات دون طيار أو الدرونز")، في سعيها لإضعاف الجهات الفاعلة المسلَّحة غير الحكومية التي تشكِّل تهديدًا للولايات المتحدة، مثل تنظيم داعش وتنظيم القاعدة وحركة طالبان. غير أنَّ المركبات القتالية المسيَّرة من دون طيَّار تُعَدُّ تكتيكًا أكثر منها استراتيجيةً. والهدف منها هو إضعافُ الخصم، وليس تدميره بالضرورة (كورديسمان 2014، 5-3). وبناءً على ذلك، كان عنصرٌ آخر في الاستراتيجية: هو تسليح شركاء محليين على الأرض ودعمهم لمهاجمة داعش وغيرها من الفاعلين العدائيين من غير الدول وتدميرهم في نهاية المطاف (البيت الأبيض 2014). ويستند هذا إلى القرارات التي اتخذتها إدارة أوباما (وكذلك الحكومة البريطانية

ولا شك أنَّ إلحاق الهزيمة العسكرية بتنظيم داعش لن يتجاوز أثره مجرد الإخفاء المؤقت للمشكلات الهيكلية العميقة التي تسبَّبت في ظهور التنظيم، تمامًا كما حدث في السابق عند هزيمة التنظيم الأم، وهو تنظيم الدولة الإسلامية في العراق في عامي ٢٠٠٧-٢٠٠٨

وغيرهما من حلفاء الناتو) بضرورة امتناع الولايات المتحدة عن إرسال قواتٍ بريَّة للقتال. وعلى ذلك يكون البديل هو تعزيز قدرات "الشركاء المحليين" (البيت الأبيض 2014). والركيزة الثالثة هي أنَّ تنظيم الدولة هو أحد أعراض السياسات المتفسِّخة في المنطقة، وليس سببًا لها ((البيت الأبيض 2014)، ولويس 2014، 5-4)). وعلى ذلك، فإنَّ أيَّ حلٍّ على المدى الطويل لا بدَّ أن يُصلح البيئة السياسية التي تُولِّد من أكثر من أربعة عقود تطرفًا عنيفًا. ولا شك أنَّ إلحاق الهزيمة العسكرية بتنظيم داعش لن يتجاوز أثره مجرد الإخفاء المؤقت للمشكلات الهيكلية العميقة التي تسبَّبت في ظهور التنظيم، تمامًا كما حدث في السابق عند هزيمة التنظيم الأم، وهو تنظيم الدولة الإسلامية في العراق في عامي 2007-2008. ونظرًا لمستويات القمع والفساد العالية، وما يصاحبها من شعور بالإحباط والاغتراب في أوساط العرب السُّنة؛ فإنَّ ظهور صورة جديدة للتعبير عن الغضب أصبح أمرًا لا مفرَّ منه، وربما تكون هذه الصورة أسوأ من تنظيم داعش (الذي يُعَدُّ في الوقت الحالي أكثر تطرفًا من القاعدة). ولا تحقِّق هذه الاستراتيجية نتيجةً مثاليةً بالضرورة. فالاحتمال الأكبر هو أن تُفضي إلى احتواء تنظيم داعش دون أن تدمِّره على المدى القصير. ولا شكَّ أنَّ الإخفاق في تعزيز قدرات الشركاء المحليين بشكلٍ كبير وإيجاد حلولٍ سياسية في العراق وسوريا سيؤدي على أرض الواقع إلى محاصرة الولايات المتحدة والناتو داخل صراعٍ طويل الأجل واستراتيجية احتواء (لويس 2014، 28)، (و جونو 2015، 39-38).

غير أنَّ هذه الاستراتيجية ونجاعتها في إلحاق الهزيمة بالفاعلين العدائيين من غير الدول لها منتقدون كثيرون. ومن بين أشهر منتقديها السير ديفيد ريتشاردز، الرئيس السابق لهيئة أركان الجيش البريطاني، الذي قاد قوات التحالف جنوب أفغانستان ضد حركة طالبان بين عامي 2006 و2008. فقد حذَّر السير ريتشاردز عام 2010، أي قبل صعود تنظيم داعش، من أنَّ الحرب على شبكة القاعدة يمكن أن تخفق، وأنَّ التخلص من "النزعة القتالية الإسلاموية" أمرٌ "غير ضروريٍّ" و"لن يتحقَّق". (ريتشاردز 2010، ورايمينت 2010).

التداعيات وملاحظات ختامية

كان للاستراتيجية المضادة التي اتبعها التحالف بقيادة الولايات المتحدة آثارٌ إيجابية. فقد أجبرت غاراته الجويَّة وحضوره الجويُّ في العراق وسوريا تنظيمَ داعش على الحدِّ من استخدامه للتكتيكات العسكرية التقليدية التي كان يستخدمها سابقًا قبل منتصف عام 2014، مما دفعه في النهاية إلى فقدان سيطرته على جزءٍ كبير من الأرض. ووفَّرت الغارات الجوية أيضًا مساحةً محدودةً وبعضَ الوقت لجهود بناء القدرات، وربما على أحسن تقدير إيجاد حلول سياسية.

وفيما يتصل بالبُعْد السياسيِّ، فمن المهمِّ أن ندرك أنَّ الجهات الفاعلة المسلحة غير الحكومية في المنطقة هي مجرد عَرض للسياسات شديدة الاختلال، وليست سببًا فيها، لا سيما في العراق وسوريا ومصر وليبيا واليمن والخليج. وبالتالي، فإنَّ الهزيمة العسكرية لتنظيم داعش لن تكون كافيةً. سيكون من الضروري في نهاية المطاف السعي في عملية إصلاح سياسيٍّ وعملية مصالحة.

وفيما يتصل بالبُعْد السياسيِّ، فمن المهمِّ أن ندرك أنَّ الجهات الفاعلة المسلحة غير الحكومية في المنطقة هي مجرد عَرض للسياسات شديدة الاختلال، وليست سببًا فيها، لا سيما في العراق وسوريا ومصر وليبيا واليمن والخليج. وبالتالي، فإنَّ الهزيمة العسكرية لتنظيم داعش لن تكون كافيةً. سيكون من الضروري في نهاية المطاف السعي في عملية إصلاح سياسيٍّ وعملية مصالحة

وبصورةٍ أعمَّ، فيما يخصُّ البيئة السياسية، لقَّنت الثوراتُ العربية الباحثين والممارسين الكثيرَ من الدروس المهمَّة حول قدرة التغييرات داخل البيئة السياسية على التأثير في صعود أو/و تحوُّل الجماعات المتطرفة المسلَّحة. فَمُبَرِّرُ المتشدِّدين الذين يستخدمون العنفَ بأنَّ العنف السياسيَّ هو الوسيلةُ الأنجع في تحقيق تغييرٍ سياسيٍّ واجتماعيٍّ، قد قُوِّضَ بنجاحٍ على يد حملات المقاومة المدنية التي أطاحت بالحكم الديكتاتوري في تونس (2010/2011) ومصر (2011)، وبدأت عمليات التحول الديمقراطي. غير أنَّ التكتيكات

الوحشية التي اتبعها نظاما القذافي والأسد في التعامل مع المتظاهرين أظهرت حدود المقاومة المدنية. وتلك الحدود برزت أيضًا في العراق (في قمع حكومة المالكي في أبريل/نيسان 2013 لاعتصامات الأغلبية السُّنية) وفي مصر (في أعقاب الانقلاب العسكري في يوليو/تموز 2013).

وفي سياق حالات التحول الديمقراطي المؤسسية جزئيًّا في تونس ومصر وليبيا والعراق واليمن (خصوصًا بين عامي 2011 و2013)، يمكن استنتاج بعض الملاحظات ذات الصلة بالسياسات فيما يخصُّ البيئة السياسية والرؤية الاستراتيجية طويلة الأمد. أولًا: ظلَّت المنظمات المتشدِّدة التي اعتادت استخدام العنف والتي تحولت إلى النشاط السياسي المستند إلى اللاعنف بدرجةٍ ملحوظة، داخل حدود هذا التحول بين عامي 2011 و2013، حين كانت عملية التحول الديمقراطية الهشَّة ما تزال مستمرةً. فشاركت في الانتخاباتِ جماعاتٌ مثل الجماعة الإسلامية المصرية والجماعة الإسلامية المقاتلة الليبية والفصائل والأفراد من جماعة الجهاد المصرية، وشاركت في الجمعيات التأسيسية لوضع الدستور، ووصلت إلى تسوياتٍ سياسية بارزة لإنجاح عمليات التحول من النظم الشمولية. وعلى سبيل المثال، أصبحت جماعة الجهاد الإسلامي المصري حزبًا سياسيًّا في مصر نظَّم مسيراتٍ مضادة للعنف الطائفي، وأصدر بياناتٍ مشتركة تحثُّ على التعايش السلمي مع الكنيسة القبطية في أسيوط (مدينة في جنوب مصر وتُعَدُّ أحد معاقل الجهاد الإسلامي).

فدائمًا ما كانت الانتهاكاتُ التي يرتكبها القطاع الأمنيُّ، وغيابُ المسائلة في التعامل مع تلك الانتهاكات عاملًا رئيسًا في إشعال جذوة عنف المتشدِّدين واستمراره

وثمة ملاحظة أخرى ذات صلة بالسياسات تتعلَّق بإصلاح القطاع الأمني. فقد بيَّنت البحوث السابقة أنَّ عملية التحوُّل عن التطرف والتحوُّل من النشاط العنيف إلى نشاط اللاعنف، لا تستمرُّ إلا بعملية إصلاحٍ شاملة للقطاع الأمني (عاشور 2009؛ 2012). فينبغي أن تتضمَّن عملية الإصلاح تغيير إجراءات العمليات الموحدة، ومناهج التعليم والتدريب ومعايير القيادة والترقيات، وكذلك عمليات الإشراف والمحاسبة من جانب المؤسسات القضائية المنتخبة. فدائمًا ما كانت الانتهاكاتُ التي يرتكبها القطاع الأمنيُّ، وغيابُ المسائلة في التعامل مع تلك الانتهاكات عاملًا رئيسًا في إشعال جذوة عنف المتشدِّدين واستمراره. ويعود هذا الأمر إلى زمنٍ طويل مضى، منذ غيَّر سيد قطب أيديولوجيته جذريًّا بعد أن عايش مجزرةً في سجون الرئيس المصري الأسبق جمال عبد الناصر عام 1957 (عاشور 2009). ووُلِدَ الفكر الجهادي والتكفيري بصورتهما الصِرفة من رَحِم السجون السياسية المصرية في ستينيات القرن العشرين، حيث كان التعذيب ممارسةً نظاميةً معتمَدةً من جانب المؤسسات الأمنية المختلفة، وهو أمرٌ لا يختلف كثيرًا عن حال مصر اليوم. وولدت أيضًا الأيديولوجيات المحافظة المغالية وغيرها من الأيديولوجيات المتشدِّدة مثل الوهابية وتطوَّرت من رَحِم الأنظمة الشمولية. ولم تخرج أبدًا أيٌّ من الأيديولوجيات سالفة الذكر من رَحِم ديمقراطيةٍ ناضجة أو راسخة.

وثمة أمور تتعلَّق بإصلاح القطاع الأمني من بينها العلاقات المدنية-العسكرية غير المتوازنة في معظم الدول العربية (عاشور 2015، وصايغ 2013، وشيتاني وعاشور وإنتيني 2013). فقد تسبَّب تفوُّق المؤسسات العسكرية على سائر مؤسسات الدولة في خَلْقِ مناخٍ سياسيٍّ أصبح فيه القمع من جانب الدولة أهمَّ طريقةٍ للوصول إلى السلطة والبقاء فيها. وفي سياقٍ كهذا، حيث يُعَدُّ العنف المباح من جانب الدولة مشروعًا من عدَّة أوجه (من بينها إباحته من جانب المؤسسات الدينية الرسمية والدعاية المفرطة في القومية)، تضعف احتمالية الوصول إلى تحوُّل ديمقراطيٍّ أو استقرارٍ مستمر.

وتُعَدُّ عمليات نزع السلاح والتسريح وإعادة الإدماج (DDR) أساسيةً، وبإمكانها أن تتسبَّب في تعزيز البيئات السياسية الداعمة للتشدُّد أو تقويضها. وقد أدَّى تسييس تلك العمليات وإخفاقها في ليبيا واليمن في أعقاب الثورتين الليبية واليمنية إلى صعود العديد من الفاعلين المسلَّحين غير الحكوميين. ونتج عن هذا تسهيلُ الحصول على الموارد الضرورية والإمدادات اللوجستية لمنظماتٍ على غرار تنظيم داعش والجماعات التابعة للقاعدة. وتُعَدُّ عمليات نزع السلاح والتسريح وإعادة الإدماج مرتبطةً بشكلٍ مباشر بإصلاح القطاع الأمني. وترفض معظم الجهات الفاعلة المسلَّحة غير الحكومية في بيئات ما بعد النزاع التفرُّقَ وتسريحَ العناصر إذا لم تكن

هناك ثقةٌ متبادلة، أو كان هناك ضعف في الترتيبات المؤسسية لموازنة العلاقات مع القطاعين الأمني والعسكري الرسميين. وينطبق هذا الأمر بصفةٍ خاصَّة على الحالات التي تكون فيها القطاعات الأمنية الرسمية فوق مستوى الإشراف والمسائلة وفوق القانون. ويُعَدُّ هذا سببًا من أسباب إخفاق خفض التصعيد في عددٍ من البلدات والمناطق، بما في ذلك مدينة درنة شرق ليبيا، ومحافظة سيناء شمال شرق مصر، والأجزاء الشمالية والوسطى من العراق، والأجزاء الجنوبية والجنوبية الشرقية والشمالية من اليمن، حيثُ تغيب الثقة بشكلٍ كبير في الفاعلين المسلَّحين الممثِّلين للدولة بسبب ارتكابهم فيما سبق انتهاكاتٍ وفظائعَ ضد السكان. ويمكن أن يقوِّض الإخفاق في عملية إصلاح القطاع الأمني، وعمليات نزع السلاح والتسريح وإعادة الإدماج، أيَّ حلٍّ سياسيٍّ مستقبليٍّ في سوريا، وبالتالي يُمكِّن على المدى الطويل العديد من الفاعلين غير التابعين للدول.

ثمة ملاحظة أخيرة مهمَّة أيضًا، تتعلَّق بالدعم الشعبي للمصالحة الوطنية والتسوية والإدماج في المجتمع وخفض التصعيد بشكلٍ عام. يُعَدُّ هذا الدعم جوهريًّا في تقويض التطرف العنيف والبيئات التي تُولِّده وتمدُّه بأسباب الحياة. ويُعَدُّ الدعم الشعبي لتلك العمليات نتيجةً في جزءٍ منه لوجود ثقافة سياسية "يمكن خلقها وتعزيزها من خلال التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي، وكذلك نتيجةً لوجود إعلام حرٍّ مسؤول يروِّج لتلك المفاهيم، وليس إعلامًا هستيريًّا يروِّج للاستقطاب الطائفي والاجتماعي، وهذا النوع الأخير هو الموجود حاليًا في العديد من الدول العربية" (عاشور 2015).

المراجع

Ashour, Omar. "Collusion to Crackdown: Islamist-Military Relations in Egypt." Brookings Papers no. 14 (March 2015a): 1-50.
http://www.brookings.edu/research/papers/2015/03/05-islamist-military-relations-in-egypt-ashour
_____."Sinai's Stubborn Insurgency: Why Egypt Can't Win?" Foreign Affairs. Vol 94, no. 6 (November/ December 2015b):
https://www.foreignaffairs.com/articles/egypt/2015-11-08/sinais-stubborn-insurgency
_____. "How Can Jordan Aid the Fight Against the Islamic State?" BBC, 10 February 2015c.
http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-31208815
_____. "De-Radicalisation Revisited." The Washington Post, 18 February 2015.
_____. The De-Radicalization of Jihadists: Transforming Armed Islamist Movements. New York, London: Routledge, 2009.
Baldor, Lolita. "Stealthy Jets Ensure Other War-Fighter Aircrafts Surviv." U.S. News and World Report, 21 July 2015.
Boulding, K. Conflict and Defense: A General Theory. New York: Harper, 1962.
Braithwaite, A., and S. D. Johnson. "Space-time Modeling of Insurgency and Counterinsurgency in Iraq." Journal of Quantitative Criminology vol. 28, no. 1 (2001): 31-48.
Chaitani, Youssef, Omar Ashour, and Vito Intini. "An Overview of the Arab Security Sector amidst Political Transitions: Reflections on Legacies, Functions and Perceptions." United Nations' Economic and Social Commission for West Africa (UN-ESCWA). New York: United Nations Publications, July 2013.
http://www.escwa.un.org/information/publications/edit/upload/E_ESCWA_ECRI_13_2_E.pdf
Condra, L. N., and J. N. Shapiro. "Who Takes the Blame? The Strategic Effects of Collateral Damage." American Journal of Political Science vol. 56, no. 1 (2012): 167-87
Connable, B. and M. C. Libicki . How Insurgencies End. Arlington: Rand Publications, 2010.
Cordesman, Anthony. "The Air Campaign Against the Islamic State." Center for Strategic and Interntional Studies, 29 October 2014.
Cruickshank, Paul. "Raid on ISIS Suspect in French Riviera." CNN, 28 August 2014.
Deryfus, B. "How the War in Afghanistan Fuelled the Taliban." The Nation, 23 September 2013.
Fearon, J. D., and D. D. Laitin. "Ethnicity, Insurgency and Civil War." American
Political Science Review vol. 57, no. 1 (2012): 75-90.
Nerguizian, A. "Conventional Forces, Asymmetric Warfare and the Struggle for Syria." The Military Balance in the Shattered Levant, 15 June 2015.
Galula, D. Counterinsurgency Warfare: Theory and Practice. Westport, CT: Praeger, 1964.
Guevara, E. Guerrilla Warfare. North Melbourne, Australia: Ocean Press, 1961.
Johnston, P. B. "The Geography of Insurgent Organization and its Consequences for Civil Wars: Evidence from Liberia and Sierra Leone." Security Studies vol. 11 (2008): 107-37.
Al-Jolani, Abu Muhammad. "Hezbollah za'il wa ladayna tha'r ma' al-'alawiyeen (Hezbollah is Being Destroyed and We a Vendetta with the Alwaites)." Interview by Ahmad Mansour. Al-Jazeera Network, 25 May 2015.
Jones, S. and Patrick Johnston. "The Future of Insurgency." Studies in Conflict and Terrorism Vol. 36, no. 1 (2013): 1-25.
Juneau, Thomas. "Containing the Islamic State." Middle East Policy vol. 23, no. 3 (Fall 2015): 36-43.
Kalyvas, S. "The Urban Bias in Research on Civil Wars." Security Studies vol. 13, no. 3 (2004): 160-90.
_____. The Logic of Violence in Civil Wars. Cambridge: Cambridge University Press, 2006.
Kalyvas, S., and Matthew A. Kocher. "Ethnic Cleavages and Irregular War: Iraq and Vietnam." Politics and Society vol. 35, no. 2 (2006): 183-223.
Kamel, Lorenzo. "Why We Hate Our Reflections: Saudi Arabia and the Islamic State." Open Democracy, 30 January 2015.

Kerbaj, Richard. "Twice as Many UK Jihadists as Police Thought, Officials Say."
The Sunday Times, 19 April 2015, 4.
Kilcullen, D. The Accidental Guerrilla: Fighting Small Wars in the Midst of a Big One. Oxford, England: Oxford University Press, 2009.
Lewis, Jessica. "The Islamic State: A Counter-Strategy for a Counter-State." ISW Middle East Security Report (July 2014).
Lyall, J. "Does Indiscriminate Violence Incite Insurgent Attacks? Evidence from
Chechnya." Journal of Conflict Resolution vol. 55, no. 3 (2009): 331-62.
Lyall, J., and I. Wilson."Rage against the Machines: Explaining Outcomes in Counterinsurgency Wars." International Organization vol. 63, no. 1(2009): 67-106.
Macaulay, N. "The Cuban Rebel Army: A Numerical Survey." The Hispanic American Historical Review vol. 58 no. 2 (1978): 284-95.
Mack, A. "Why Big Nations Lose Small Wars: The Politics of Asymmetric Conflict." World Politics vol. 27, no. 2 (1975): 175-200.
Mao, T. On Guerrilla Warfare. Champaign: University of Illinois, (1937) 1961.
Mao, T. On Protracted War. Republic of China: Foreign Language Press. (1938) 1967.
Mason, D. T., and D. A. Krane. "The Political Economy of Death Squads: Toward
a Theory of the Impact of State-sanctioned Terror." International Studies Quarterly
vol. 33, no. 2 (1989): 175-98.
McColl, R. "The Insurgent State: Territorial Bases of Revolution." Annals of the
Association of American Geographers vol. 59, no. 4 (1969): 613-3.
Al-Naji, A. B.. Idarit al-Tawahush (Managing Brutality), 2007.
Petraeus, David, James F. Amos, and John A. Nagl. The U.S. Army/Marine Corps Counterinsurgency Field Manual. Chicago: University of Chicago Press, 2007.
Quintana, Elizabeth and Jonathan Eyal. "Inherently Unresolved: The Military Operation Against the Islamic State." RUSI Occasional Papers (October 2015): 1-45.
Rayment, Sean. "General Sir David Richards: We Cannot Defeat al-Qaeda." The Telegraph, 14 November 2010.
http://www.telegraph.co.uk/news/uknews/defence/8131217/General-Sir-David-Richards-Why-we-cannot-defeat-al-Qaeda.html
Richards, David. "We Can't Beat al-Qaida: Forces Head." Daily Express, 14 November 2010.
http://www.express.co.uk/news/uk/211459/We-can-t-beat-al-Qaida-forces-head
Seig, M. "How the Transformation of Military Power Leads to Increasing Asymmetries in Warfare?" Armed Forces and Society, Vol. 40, no. 2 (2014): 332-356.
Schute, S. "Geography, Outcome, and Casualties: A Unified Model of Insurgency." Journal of Conflict Resolution. (March 2014): 1-28.
Thompson, R. Defeating Communist Insurgency;: The Lessons of Malaya and Vietnam. Praeger, 1966.
White House. "Fact Sheet: The Strategy to Counter ISIL." White House Press Release, 9 October 2014.
https://www.whitehouse.gov/the-press-office/2014/09/10/fact-sheet-strategy-counter-islamic-state-iraq-and-levant-isil
Wood, E. J. Insurgent Collective Action and Civil War in El Salvador. Cambridge: Cambridge University Press, 1969.
"Foreign Fighters in Iraq and Syria: Where Do They Come From?" Radio Free Europe/Radio Liberty, 1 December 2015.
http://www.rferl.org/contentinfographics/foreign-fighters-syria-iraq-is-isis-isil-infographic/26584940.html

الهوامش:

[1] The armed conflict is still ongoing in the remaining 16 cases.

[2] The other three variables are political instability, large population, and poverty.

[3] One of the most publicized LAG examples in Egypt is the killing of the Mexican tourists by the incumbent's Apache helicopters in September 2015. The killings of Egyptian civilians due to LAG are common in Sinai, but much less publicized.

[4] According to Arreguín-Toft, strong actors won 76 percent of all same-approach strategic interactions, while weak actors won 63 percent of all opposite-approach interactions (Arreguín-Toft 2001, 111).

عن المؤلف

عمر عاشور زميل مساعد أول بمنتدى الشرق. وهو أيضاً محاضر أول في الدراسات الأمنية بمعهد الدراسات العربية والإسلامية بجامعة إكستر البريطانية، وزميل أول بالمعهد الملكي للشؤون الدولية (المعروف بـ«تشاتام هاوس») في لندن. وهو مؤلف أول كتاب عن تحولات العديد من التنظيمات الإسلامية في شمال إفريقيا من النشاط المسلح إلى النشاط غير المسلح، بعنوان «نزع التطرف عن الجهاديين: تحول الحركات الإسلامية المسلحة». وتتضمَّن آخر مؤلفاته دراسة لمعهد بروكينغز بعنوان «من التواطؤ إلى التصادم: العلاقات بين الإسلاميين والجيش في مصر»، ودراسة للأمم المتحدة ساهم في تأليفها تتناول إصلاح القطاع الأمني عقب الانتفاضات ذات الغالبية العربية تحت عنوان «نظرة عامة على القطاع الأمني العربي: الإرث والوظائف والتصورات». وهو مساهم منتظم في منافذ إعلامية تتضمَّن هيئة الإذاعة البريطانية بي بي سي، وشبكة الجزيرة، وشبكة سي إن إن وغيرها. وتُنشَر مقالاته في مجلة فورين بوليسي، وصحيفة واشنطن بوست، وصحيفة الغارديان، وموقع الجزيرة.نت، وموقع هيئة الإذاعة البريطانية بي بي سي، وموقع شبكة سي إن إن، وغيرها الكثير من المنافذ الإعلامية الأخرى. اهتماماته البحثية: الدراسات الأمنية، والعلاقات المدنية-العسكرية، وإصلاح القطاع الأمني، والعلاقات بين الإسلاميين والجيش، مع التركيز على مصر وليبيا.

عن الشرق

منتدى الشرق هو شبكة دوليّة مستقلّة تتمثّل مهمتها في تطوير استراتيجيّات طويلة الأمد لضمان التطور السياسي، والعدالة الاجتماعيّة، والازدهار الاقتصاديّ لشعوب منطقة الشرق الأوسط. وسيقوم بتنفيذ ذلك من خلال الأبحاث المتفانية في العمل العامّ، وبتعزيز مُثُل المشاركة الديمقراطيّة، والحوار بين أصحاب المصالح المتعددة والعدالة الاجتماعيّة

Address: Istanbul Vizyon Park A1 Plaza Floor:6
No:68 Postal Code: 34197
Bahçelievler/ Istanbul / Turkey
Telephone: +902126031815
Fax: +902126031665
Email: info@sharqforum.org

منتدى الشرق
ALSHARQ FORUM

sharqforum.org

/ SharqForum

SOUNDCLOUD / Sharq-Forum